المصدر: روزاليوسف
التاريخ : ١٩٩٥/٥/١٥

أنا والسادات

وقع بصرى على انور السادات اول مرة فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وفى بيت الفنان الشعبى زكريا الحجاوى ، وكان زكريا يسكن وقتئذ فى الدور الثانى من منزل صغير يطل على شارع سعد زغلول ، وفى مواجهة ضريح سيدى ابو ذيه بالجيزة ، وقدمنى زكريا الحجاوى إليه وكان شابا فتيا اسمر اللون مفتول العضلات ، ويتحدث بطريقة مميزة ، وكأنه ممثل على خشبة مسرح .

ثم اختفى انور السادات ، واختفى معه زكريا الحجاوى ايضا ، وعلمت بعد ذلك ان زكريا سافر إلى مسقط راسه فى بحيرة المنزلة ، ومعه صديقه محمد على ماهر الذى كان يعمل كاتبا فى مستشفى قصر العينى ، ثم اشتهر بعد ذلك من خلال برنامجه الإسلامى الشهير (من قصص القران) ثم عرفت بعد ذلك بسنوات طويلة ان زكريا الحجاوى لم يسافر إلى المنزلة مع محمد على ماهر فقط ، ولكن سافر معهما ايضا انور السادات حيث اختفى فى جزيرة معزولة داخل البحيرة هربا من البوليس ، ثم رايت انور السادات بعد ذلك عدة مرات حيث كان يتردد على مجلس زكريا الحجاوى فى قهوة شهريار التى تقع فى مواجهة كوبرى عباس بالجيزة ، وعندما انتقلت شلة زكريا الحجاوى إلى قهوة ، كازينو ، اسفل كوبرى عباس كان انور السادات يأتى إليها احيانا ، وكان ياتى ومعه ضابط طيار يدعى حسن عزت ، وكان انور السادات يقدمه للناس على انه استاذه فى الوطنية ، وكانت هذه المقعدات تضم عددا لا يزال بعضهم على قيد الحياة ، منهم الكاتب بكر الشرقاوى ، الذي يقيم فى لندن الآن ورسام الكاريكاتير الشهير احمد طوخان ، واذكر انى ذات يوم انتقدت انور السادات .. انتقدت طريقته فى الجلوس ، وفى المشى ، وفى الحديث ، وقلت ساخرا ده زى ما يكون شارب نشا ، واحتج طوخان على هذا الوصف وقال محتجا ، الى انت شايفه ده يابنى ح يبقى ملك مصر !! وقد سبق للعبد لله تسجيل هذه الواقعة فى كتاب الولد الشقى الجزء الثانى ، والذى صدر فى عام ١٩٦٨ .

ثم جاءت ثورة ٢٣ يوليو واستمعنا إلى بيان الثورة الاول بصوت انور السادات ، وتصورت انا وطوخان ان انور السادات هو زعيم الثورة ، وبعد انتهاء انور السادات من تلاوة البيان قائد لدينا - طوخان وانا - ان انور السادات هو قائد الثورة ، وفى آخر النهار قلت لطوخان ، لقد صحت نبوءتك ، وصاحبك صار ملكا على مصر .

فى ذلك الايام كان زكريا الحجاوى يعمل موظفا بمجلس بلدية الجيزة صباحا ، ويعمل بعد الظهر محررا بجريدة المصرى ، ومسئولا عن مراسلى الاقاليم ، ولكن زكريا الحجاوى صار يتحدث كثيرا عن انور السادات عندما يجتمع بنا فى القهوة ، وفهمنا من حديث زكريا انه يتردد كثيرا على بيت انور السادات فى بيته بالروضة ، وبعد فترة عرفنا من زكريا الحجاوى ان ثورة يوليو فى طريقها إلى إصدار جريدة يومية ، وسيكون انور السادات هو المشرف عليها ،

وصدرت جريدة الجمهورية بالفعل ، وكان انور السادات هو رئيس مجلس إدارتها ، وحسين فهمى هو رئيس تحريرها ، واستقال زكريا الحجاوى من جريدة المصرى ، ومن وظيفته الحكومية ، وصار مديرا لتحرير جريدة الجمهورية ، ولم التحق بالعمل فى جريدة الجمهورية ، ولم احاول ذلك بالرغم من ان مدير تحريرها هو استاذى ، وصديقى زكريا

الحجاوى ، والسبب الذى كنت قد التحقت بجريدة يومية اخرى هى جريدة القاهرة التى صدرت فى بداية الثورة برأس مال عربى ، وتولى رئاسة تحريرها احمد قاسم جودة ، واسعد داغر اللبنانى ، وإبراهيم الشنطى الفلسطينى .

لكن جريدة القاهرة تعثرت بعد عام واحد من صدورها ، وانكمشت وتوقفت عن الصدور صباحا ، واصبحت جريدة مسائية ، ولذلك تركتها وعملت محررا بمجلة التحرير مع احمد قاسم جودة ، ولكنى اضطررت إلى ترك مجلة التحرير بعد ان جاء المرحوم محمد صبيح رئيسا لتحريرها ، وذهبت للعمل بجريدة الجمهورية ، ولكن اثناء عملى بجريدة القاهرة اليومية حدث لى مع انور السادات موقف غريب للغاية ، فبعد مرور ثلاثة اشهر فقط من التحضير لإصدار جريدة الجمهورية ، اصدر انور السادات قرارا مفاجئا بفصل زكريا الحجاوى ، وبعد عدة اسابيع من فصل زكريا الحجاوى كلفنى بان اقابح السادات فى امره حيث لم يعد

له أى مدخل بعد أن فقد وظيفته الحكومية . وكان السبب فى اختيار زكريا للعبد لله لمقابلة انور السادات هو وجوده انور السادات عضوا بمحكمة الثورة التى تحاكم زعماء الاحزاب المنحلة . وكان العبد لله مندوبا لتجربة فى المحكمة . وكلف الثانى بانور السادات يومها فى فترة الاستراحة . وبعد إنتهاء الجلسات . ولان العبد لله مدب ويخطىء فى أحيان كثيرة فى قياس المسافات بينه وبين البشر . فقد تصورت أن انور السادات هو نفسه انور السادات الذى كان يجلس معنا فى الثورة . ويداعبنا ويمزح معنا . لم أدرك حجم التغيير الذى حدث فى مصر . هذا التغيير الذى جعل انور السادات يوقع باسمه على قرار بفصل اعز اصدقائه . زكريا الحجاوى . فى فترة الاستراحة تقدمت إلى انور السادات وهو يقف مع أحد اعضاء مجلس قيادة الثورة وآخرين . وبعد أن صافحنى بعودة القريبة منه وقلت له زكريا الحجاوى يا فندم . ولم اقوه بكلمة واحدة بعد ذلك .

صرخ انور السادات صرخة عنترية فى وجه

العبد لله . صرخة جعلت كل من فى القاعة يصمت ويلتفت إلينا . وقال انور السادات بغضب شديد موجها حديثه للعبد لله إخرس قطع لسانك أوعى تجيب الاسم ده مرة ثانية على لسانك قدامى . وبعد لحظة شعرت باصابع حديدية تقبض على جزء من كتفى ملاصق للعنق جعلتنى اشمه بدمية فى مسرح العرائس . وظلت هذه الاصابع تدفع بى بعيدا عن انور السادات . وبعيدا عن القاعة . ولم تتركنى إلا وانا على باب مجلس قيادة الثورة . وفى الشارع . كان صاحب اليد التى امسكت بى هذه المسكة المدربة هى يد البورمانى عادل طاهر . الذى اصبح فيما بعد وزيرا للسياحة . وعندما سألنى زكريا الحجاوى فى المساء عن رد فعل انور السادات على شكواه التى قمت برفعها إليه . اضطررت إلى اختراع كذبة بيضاء . وقلت لزكريا الحجاوى بلهجة الدبلوماسى الخبير لقد وعدنى خيرا فى خلال

اسبوعين ، وقال زكريا الحجاوى وهو يهز راسه : ما تنساش يا محمود لازم تفكره . ووعدت عمنا زكريا الحجاوى خيرا ، وفى نيتى طبعا عدم الاقتراب من انور السادات فى اى وقت !

ثم اتيح لى ان اقترب من السادات فى مناسبة اخرى بعد ذلك ، واثناء عملى فى مجلة التحرير ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٥ ، عندما نشرت مقالا تناولت فيه المطرب فريد الاطرش بالفاظ شديدة القسوة ، ونسيت فى غمرة حماسى ضد فريد الاطرش ، فتناولت الدروز عموما بنفس الاسلوب ، ويبدو ان الاتصالات كانت دائرة فى ذلك الحين بين مصر وسوريا ، وفوجئت بالصاغ فوزى عبد الحافظ مدير مكتب السادات يستدعينى لمقابلة القائمقام انور السادات ، وخرجت من مجلة التحرير ، ودخلت الباب المجاور ، وصعدت إلى الدور الذى يقع فيه مكتب انور السادات ، وسمح لى الصاغ فوزى عبد الحافظ بالدخول فورا .. وعندما دخلت كان القائمقام انور السادات مشغولا بقراءة بعض الاوراق امامه ، ومرة اخرى اخطات عملية القياس بينى وبين الآخرين ، فالقيت عليه السلام بطريقة تشبه الطريقة التى كنت اخاطبه بها ايام قهوة شهريار ، ولكنى فوجئت به يلزم الصمت فلم يرد علىّ ، ولم ينظر نحوى وواصل القراءة فى الاوراق الموجودة امامه ، ومرت عشر دقائق على الاقل قبل ان يرفع عينيه عن الورق الذى امامه ، ونظر نحوى نظرات رجل يتحفز لخصمه ، ثم قال لى فجاة إنت صحفى واللا عربجى ؟ واطلق العبد لله ضحكة تثبت اننى لم ادرك بعد خطورة موقفى ، وقلت له مداعبا مافيش فرق ياريس وامسك بنسخة من مجلة التحرير فى يده وهزها فى وجهى وقال ده كلام تكتبه عن فريد الاطرش وعن الدروز ؟ واجبته ده كلام عادى ياريس ، صرخ انور السادات فى وجهى قائلا ده كلام عادى فى رايك ، شىء عظيم جدا ، طيب روح إنت موقوف ، قلت له طيب سلامو عليكم .

قبل ان اصل إلى الباب رن صوته فى انحاء الحجرة يناديني فعدت إليه فبادرنى قائلا يعنى مش همك ، طيب انت مرفوت ، القيت عليه السلام مرة اخرى وانا اغادر مكتبه ، ونزلت على السلم ، وعندما وصلت إلى الدور الثانى جاءنى صوت الصاغ فوزى عبد الحافظ يناديني طالبا منى العودة لان القائمقام يريد رؤيتى مرة اخرى ، وتوقعت شرا ، فقد كانت المرة الاولى وقفا عن العمل ، ثم صارت فى المرة الثانية فصلا عن العمل ، ما الذى سيكون عليه الحال فى المرة الثالثة ؟ العبد لله توقع ان تكون المرة الثالثة ضربا من النوع الشديد القوى !

المهم اننى عدت ، وعندما هممت بالدخول إلى مكتب انور السادات استوقفنى الصاغ فوزى ودعانى للجلوس بعض الوقت فى مكتبه ، وبعد نصف ساعة من الجلوس بجوار فوزى عبد الحافظ ، انفتح الباب فجاة وخرج منه انور السادات فى طريقه إلى الخارج ، وهب فوزى عبد الحافظ واقفا ، وفعلت نفس الشىء ، وتوقف انور السادات ، ونظر نحوى وقال لى فى لهجة تمثيلية : انت موقوف ، ثم اتجه نحو الاسانسير ، بينما تسمرت انا فى موقعى حتى غادر المبنى ، ياللهول على راى يوسف وهبى .. موقوف .. ثم مرفوت .. ثم موقوف.

إذن هو وقف عن العمل وليس فصلا عن العمل ، و « قضا اخف من قضا » كما يقولون ، وعشت موقوفا عن العمل اكثر من ٨ اسابيع حتى جاء كامل الشناوى يرحمه الله رئيسا لتحرير الجمهورية ، وفى اول اجتماع تحرير حضره انور مع كامل الشناوى قال له كامل الشناوى بطريقته العبقرية : كان ممكن نعمل حاجات كتيرة فى الجمهورية لو كان الواد الصحفى ده عايش لكنه مسكين مات ؟ وتساءل انور السادات : مين الصحفى ده اللى مات ؟ واجابه كامل الشناوى : محمود السعدنى ، ورد انور السادات مندهشا : هو محمود السعدنى مات ؟ واجابه كامل الشناوى على الفور امال هو فين ؟ فهم انور السادات ما يرمى إليه كامل

الشناوى فقال على الفور : ده لسانه زفر عاوز قطعه ؟ تصور ياكامل بك الولد ده كان ح يفسد لنا كل شيء مع سوريا . وقال كامل الشناوى : وهوه ذنبه إيه ؟ الذنب ذنب اللى نشر . السعدنى ده عامل زى قطر سكه حديد ماشى من غير قطبان . نعمله قضيب يبقى كويس جدا . وقال انور السادات : تضمنه يا كامل ؟ واجاب كامل الشناوى : اضمنه طبعا .

وفى المساء عدت من جديد إلى دار الجمهورية . واستقبلنى كامل الشناوى بود بالغ . وقال للعبد لله : انت ما لكش مكتب هنا ولا اى حاجة . انت تقعد جنبى هنا هه . اللى ح ادهولك تكتبه هنا هه .. مفهوم . وخد بالك انا ضامنك ما تودنيش فى داهيه معاك .

وهكذا جلست على مقعد فى مواجه كامل الشناوى .

وفى المساء بدات شلة كامل الشناوى وتلاميذه تتوافد على مكتبه . كان من بينهم عبد الحليم حافظ . وكمال الملاخ . وانيس منصور . وسعيد سنبل . واخرون . وبعض محررى الجمهورية منهم سامى داود . واحمد رشدى صالح . وفجاة وقبل ان ينتصف الليل بدقائق انفتح مكتب كامل الشناوى . ودخل انور السادات . كان سعيدا ومنتشيا على نحو ما وصافح جميع الحاضرين . وعندما اقترب منى مد يده وصافحنى بحرارة قائلا : إزيك يا محمود . ولم يزد عن ذلك حرفا . وكانه لم يحدث بينى وبينه اى شيء على الإطلاق . ثم جلس عدة دقائق مع الموجدين قبل ان ينصرف إلى بيته . وقال لى كامل الشناوى بعد انصرافه ضاحكا : خلاص براءه . وواصلت العمل بجريدة الجمهورية . حتى كانت ليلة من ليالى الصيف عندما تشاجرت مع محرر زميل بجريدة الجمهورية . . ويبدو ان الزميل إياه اصيب اثناء المعركة بجرح فى وجهه فذهب والدماء تنزف منه إلى نقطة بوليس كوبرى بديعة . ومن هناك حولوه إلى قصر العينى . وقرر الاطباء

هناك انه يحتاج إلى علاج اكثر من ٢١ يوما يعنى دخلنا فى جناية والحمد لله . كان معى فى تلك الليلة الصحفى الكبير على جمال الدين رئيس تحرير وكالة أنباء اورينت برس . والفنان احمد طوغان . وانقطعت ثلاثة ايام عن الذهاب إلى جريدة الجمهورية . واتصلت فى اليوم الرابع بعم سيد رئيس عمال السويتش . فابلغنى بضرورة التوجه فورا إلى العوامة لمقابلة السيد القائمقام . وفكرت طويلا قبل ان اقرر ماذا يجب ان افعله . هل اذهب إليه بالفعل . وليكن ما يكون ؟ ام ابقى فى غيبتى الصغرى حتى تتضح الرؤية تماما ؟ فى النهاية قررت ان اذهب للقائمقام . ومهما يكن الأمر . ذهبت إلى العوامة التى كانت تطفو على النيل . وعلى مقربة من البيت الذى سكن فيه اثناء رئاسته للجمهورية . وكانت هذه العوامة تابعة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وعندما دخلت والقيت السلام لم يكن انور السادات وحده . ولكن كان معه عدد من الأصدقاء منهم المرحوم محمود ابو وافية . وشخص اخر يدعى ابو المجد . كان ضخم الجثة وعريض الكتفين . ومتين البنيان . ورد الجميع السلام باحسن منه . ما عدا انور السادات اكتفى بالنظر إلى دون كلام . وادركت ان الأمور ستنتهى إلى الفصل او إلى الوقف على احسن الفروض . وفجاة صرخ انور السادات فى الموجودين قائلا : اتفضلوا . وعلى الفور هب الجميع وقوفا وانصرفوا .

واصبحت وجها لوجه مع انور السادات . دعانى إلى الجلوس فى حضرته . ثم راح يؤنبنى بشدة لأني كنت السبب فى تشويه صورته امام زملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة . وعلى الأخص زكريا محيى الدين وزير الداخلية الذى ايقظه من نومه وقال له : قوم يا انور لم اعصبجيه بتوعك من على القهاوى . ثم قال لى : إحنا لى بالضبط إيه اللى حصل .

وحاولت ان انفى التهمة عن نفسى . وزعمت له ان الصحفى إياه هو الذى اعتدى علىّ اولا . واننى كنت فى حالة دفاع عن النفس . وانه حاول

ضربى بكوب مكسور فى يده ، ولكنى دفعت الكوب بيدى ، ويبدو انه ارتد إليه فحدث له جرح بسيط فى يده ، وهذا كل ما فى الأمر ، واستشهدت بالفنان طوغان ، وبالصحفى على جمال الدين ، ولكن انور السادات لم يقتنع بما رويته له ، واصر على معرفة الحقيقة كاملة ، وبالتفاصيل .

وحكيت مرة ثانية ومرة ثالثة ، وفى المرة الرابعة رويت له القصة كلها وبالتفاصيل ، ثم جلست مستعدا لسماع الحكم الذى سينطق به انور السادات ، وكنت اعتقد اعتقادا راسخا ان الفصل من الجمهورية هو اهون جزاء يصيب العبد لله ، ولكن .. مع رجل مثل انور السادات لا يستطيع احد ان يتكهن بالنتائج مهما حاول او بذل من جهد ، فجاة اعتدل انور السادات فى جلسته وقال : عفارم عليك يا ولد يا محمود .. إنت ولد وشارب من بز امك ، عارف لو كنت قتلته ، كنت طلعتك من حبل المشنقه ، تعرف انا امنيتى ايه يا واد يا محمود ؟ اقلع البدلة دى - واشار إلى زيه العسكرى - واضرب الولد ده علقه لحد ما يموت ، اتفضل روح الجرنال ، والولد ده إذا دخل الجمهورية تانى ح تكون إنت المسئول .. فاهم ! وخرجت من العوامة إلى جريدة الجمهورية ، ودخلت مكتب كامل الشناوى ، وما ان رانى الاستاذ كامل حتى هب

واقفا وسالنى : إنت قابلت القائمقام ؟ ولما اجبته بالإيجاب سالنى : وإيه الحال ؟ اجبته : كل شىء على مايرام وعال العال .

لم يجلس كامل الشناوى ، ولكنه اتجه إلى باب المكتب واشار للزميل المصاب ان يلحق به ، وبعد فترة عاد كامل الشناوى وحده ، ولم يعد الزميل إياه مرة اخرى إلى مبنى الجريدة .

وما اكثر اللقاءات التى تمت بعد ذلك بين العبد لله وانور السادات ، اغربها لقائى به بعد عودتى من سوريا ، ثم لقائى به بعد عودتى من تونس ، وبعد خروج امين شاكر من جريدة الجمهورية ، ولقائى به اثناء رحلتى فى اليمن ، ولقائى به للتوصية عنده لإعادة إسامة ابن زكريا الحجاوى إلى الكلية الحربية ، ثم لقائى به خلال انتخابات الاتحاد الاشتراكى بالجيزة بعد النكسة ، ثم لقائى به مع فريد عبد الكريم فى منزله بالهرم ، وهو نائب لرئيس الجمهورية ، ثم لقائى به اثناء وجودى فى منفاى الإختيارى بالكويت ، ودار بينى وبينه حديث اغرب من الخيال ، وقد حضر اللقاء المهندس عثمان احمد عثمان فقط ، وكان هذا اخر لقاء بينى وبين الرجل الذى حكم مصر لمدة ١١ سنة قضيت منها عامين فى السجن ، وثمانية اعوام فى المنفى .. ولكن هذا حديث اخر !■

محمود السعدنى